خفايا عام ١٩٥٧ في سورية

المستعمرون كتلة واحدة في وجه الحركة الوطنية العربية

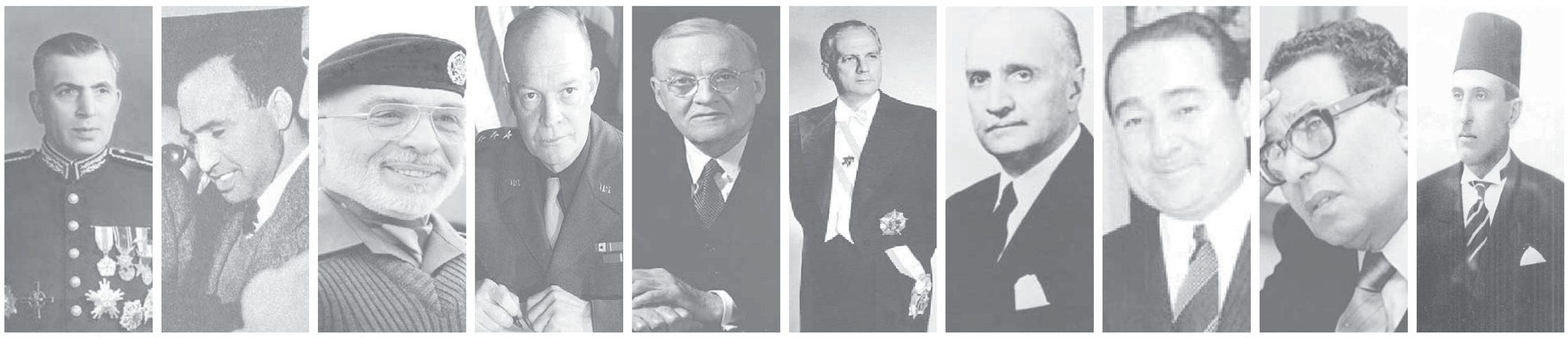

القوتلي — بهاء الدين — مندريس — هندرسون — شمعون — دالاس — أيزنهاور — الملك حسين — السراج — الشيشكلي

شمس الدين العجلاني

(عند الغسق بتاريخ ١٢آب ١٩٥٧ طوق الجيش السوري سفارة الولايات المتحدة في دمشق، وقد ادعى عبد الحميد السراج، الرئيس السوري لجهاز مكافحة التجسس أنه أحبط مؤامرة قامت بها وكالة المخابرات المركزية الأميركية لخلع الرئيس المحايد شكري القوتلي وإقامة نظام حكم موال للغرب، وطرد ثلاثة دبلوماسيين أميركيين، وسجن عشرات من الضباط المتورطين في المؤامرة المزعومة – دوغلاس ليتل الأستاذ في جامعة كلارك الأميركية في مجلة ميدل ايست جورنال عام ١٩٩٠ م).

خفايا عام ١٩٥٧م

توحد المستعمرون في ربيع عام ١٩٥٧ في النظام الاستعماري الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأميركية ووقفوا كتلة واحدة في وجه الحركة الوطنية العربية التي جاءت حينذاك المقاومة السورية في مقدمتها.

وانضم إلى جوقه هؤلاء المستعمرين الجدد عدد من الدول العربية العراق – نوري السعيد – الأردن – الملك حسين – والسعودية ومن لف حولها... وكانت السعودية على غاية من الخطورة في تنفيذ المخططات الإجرامية بحق عدد من الدول العربية وفي مقدمتها سورية، وأشارت مجلة صباح الخير في عددها يوم ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٧ م إلى انقسام العرب حين طرحت قضية سورية على الأمم المتحدة معزية ذلك: (خشيت بعض الدول العربية أن تقف بجانب سورية، فكأنها تقف بجانب روسيا ضد أميركا!؟).

بدأت الولايات المتحدة وعدد من الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا، إجراءات سرية مشتركة ضد الحكومات السورية في تلك الفترة بغية إقامة نظام موال للغرب في دمشق. وأدى ذلك إلى قائمة طويلة من العمليات الاستخباراتية الغربية ضد سورية. وكان السياق الأوسع هو «مشروع أوميغا» الذي قادته الولايات المتحدة، ووافق عليه الرئيس الأميركي أيزنهاور في آذار ١٩٥٦ وكان وفقاً لرأي الأستاذ الجامعي الأكاديمي الألماني دوغلاس ليتل بمنزلة «خطة سرية لمكافحة القومية الثورية في أنحاء العالم العربي».

أجريت عدة عمليات سرية غربية كبرى في سورية خلال هذه الفترة «عملية ستراغل»، وهي محاولة أميركية وبريطانية عراقية مشتركة بين آذار وتشرين الأول ١٩٥٦ للقيام بانقلاب عسكري موالٍ للغرب قبل أن تكتشفه الاستخبارات العسكرية السورية، واشترك في هذه المؤامرة العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية الشهيرة بسورية!؟ وحينها ألقى الرئيس القوتلي في تموز ١٩٥٧، خطاباً جعل القائم بأعمال الولايات المتحدة يقول إن خطاب القوتلي «لا يختلف عن الدعاية الشيوعية».

ومن ثم جاءت عملية « أوين»، التي قادتها وكالة المخابرات المركزية الأميركية (CIA) والتي سعت من خلالها إلى شراء ضمائر عدد من ضباط وأفراد الجيش السوري للقيام بانقلاب عسكري يهدف إلى إعادة أديب الشيشكلي كديكتاتور موالٍ للغرب في سورية وكشفتها المخابرات السورية في ١٢ آبَ ١٩٥٧؛ وكان الاعتماد في هذه الخطة على الرئيس السوري الفار أديب الشيشكلي والضابط السوري إبراهيم الحسيني الذي كان ملحقاً عسكرياً في إيطاليا، وعلى إثر إخفاق هذه العملية وتورط مسؤولين في السفارة الأميركية فيها، أعلنت الحكومة السورية أن (هوارد ستون) مسؤول السي أي إيه في السفارة الأميركية، وخبير انقلابات عسكرية شخص غير مرغوب فيه.

وكانت أيضاً هنالك عملية «الخطة المفضّلة»، التي طُرحت في أيلول ١٩٥٧، لإثارة القلاقل والفتن بين الأقليات السورية بقصد استخدامها ذريعة لتدخلات مسلحة من الدول المجاورة واغتيال الشخصيات السياسية والعسكرية السورية الأساسية التي أفشلت العمليتين السابقتين.

لقد عملت وكالة المخابرات المركزية الأميركية، وفق مفهومين حسب رأيها، الأول التصدي للاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط خوفاً على المصالح الأميركية في هذه المنطقة، أما القلق الشديد الذي انتاب المخابرات الأميركية فهو سورية، لأسباب كثيرة ومعروفة.. ولنقرأ رأي يورغ مايكل دوستيل الأستاذ الجامعي والأكاديمي الألماني حسب ما ورد في صحيفة السفير بتاريخ ٢٨-١-٢٠١٦:تحت عنوان «سورية مطلع الحرب الباردة، هكذا دفعها الغرب نحو الاتحاد السوفييتي» حيث جاء في المقال إن لتاريخ الجمهورية العربية السورية السياسي الباكر، منذ برز هذا البلد دولةً مستقلةً في العام ١٩٤٦ إلى اندماجه مع مصر لتشكيل الجمهورية العربية المتحدة في العام ١٩٥٨، صلة مباشرة بفهم الأزمة السورية الحالية. ويتفحص هذا المقال الكيفية التي تُحدِّد بها المصالحُ الجيوسياسية سلوكَ القوى الغربية فيما يتعلق بسورية والحال، أن في الفترة الباكرة من التاريخ السوري كثيراً من أوجه الشبه مع الأحداث الأخيرة، منذ البداية، واجهت سورية المستقلة تحديات جيوسياسية عملت على تقويض الاستقرار السياسي في البلاد. فعلى المستوى الإقليمي، شككت النزاعات العربية البينية، وقضية الاستعمار الصهيوني في فلسطين، في قابلية سورية للحياة بوصفها دولة مستقلة. وغدت سورية، إضافة إلى ذلك، منطقة متنازعاً عليها في الحرب الباردة بين القوى الغربية والاتحاد السوفييتي. ويعود ذلك في المقام الأول إلى رفض حكومة الولايات المتحدة دعم الدولة السورية من الناحية الاقتصادية والعسكرية، كما طلب في العام ١٩٤٥ شكري القوتلي، أول رئيس سوري. وكان الدافع وراء الرفض ما تبذله الولايات المتحدة من جهد لدعم الصهيونية، ولا علاقة له البتّة بمسألة نظام الحكم في سورية، وما إذا كان يحكمها حكام ديمقراطيون أو سلطويون. وفشل سورية في الحصول على دعم القوى الغربية هو الذي يفسّر التحول اللاحق في أواسط خمسينيات القرن العشرين باتجاه الاتحاد السوفييتي نظراً لغياب أي بديل ممكن.

لقد رأى وزير خارجية أميركا آنذاك (جون فوستر دالاس) أن الولايات المتحدة تنظر إلى الدول المتخلفة، على أنها غير قادرة على المجابهة أمام الدول الكبرى، وأنها لابد أن تقع في شرك الشيوعية السوفييتية، وأنه يجب على الولايات المتحدة أن تتدخل لتضمن استقلال هذه الدول، وعلى هذا الأساس خول الكونغرس الأميركي، الرئيس (أيزنهاور) لإقامة نظام دفاعي من خلال بعض الدول الشرق أوسطية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، لوقف المد السوفييتي الذي يتهددها، وقد اشتركت عدة دول فيه أهمها العراق، وتركيا، ولبنان، والأردن فأرسلت الولايات المتحدة في آب عام ١٩٥٧م، سكرتير وزير خارجيتها (لوي هندرسون)، إلى تركيا، وقابل كلاً من رئيس الحكومة التركية عدنان مندريس وملك العراق فيصل الثاني، وملك الأردن، الحسين بن طلال، ثم قابل، رئيس لبنان كميل شمعون، وبعد ذلك صرح (هندرسون) قائلاً: (إن الولايات المتحدة مستعدة لتقديم الدعم الملائم لجيران سورية المسلمين في حالة تعرضهم للانتهاكات السورية). ورأى وزير الخارجية الأميركي جون فوستر دالاس بأن: (هنالك دليلاً في سورية عن قيام نموذج خطير وتقليدي للتغلغل السوفييتي الذي سيقضي إلى جر البلد، كما حدث في تشيكوسلوفاكيا، إلى الوقوع فريسة للهيمنة الشيوعية الدولية وتحويلها إلى تابع سوفييتي).

لقد حذر الكاتب المصري أحمد بهاء الدين من خطورة الوضع في سورية عام ١٩٥٧ في عدة مقالات نشرتها مجلة صباح الخير المصرية في ذاك الوقت فكانت مقالته: (لن تقع حرب عالمية.. ولكن حروب محلية صغيرة – كانون الثاني ١٩٥٧ م) ومن ثم أعاد طرح الموضوع نفسه في أيلول ١٩٥٧ م تحت عنوان: (لن تقوم حروب عالمية.. ولكن حروب محلية صغيرة، هل تتعرض سورية لحرب من هذا النوع) وأردفه بمقال ثالث في الشهر نفسه تحت عنوان: (رائحة البارود في سورية)، في حين تذكر مجلة الجندي السورية في عام ١٩٥٧ م: (أميركا التي توجه سياستها شركات الاحتكار الرأسمالية، تحاول أن تبرر تدخلها في شؤوننا الداخلية وإرسالها الأسلحة إلى الأردن ولبنان وتركيا، تبريراً هو في الحقيقة خداع وتضليل).

أين تركيا من كل ذلك؟

وإزاء كل ذلك فقد كانت سورية في شهر آب من عام م١٩٥٧، على أبواب حرب تركية – سورية بسبب الأحلام الأميركية في بلادنا، فقد أوعزت الولايات المتحدة لتركيا (الحليف الرئيسي في الحلف الأطلسي على حد قول أيزنهاور) بغزو سورية وأعلنت أميركا على لسان (آلن دالاس) رئيس المخابرات المركزية الأميركية السي أي إيه، أنه لا توجد قيادة حقيقية في سورية!؟ وعلى الولايات المتحدة أن تبدأ بخطة أخرى!؟ فأوعزت لتركيا بحشد قواتها على الحدود الشمالية السورية (حلب)، وحركت أميركا أسطولها السادس تجاه الساحل السوري، وأرسلت أيضاً طائرات أميركية نفاثة من غربي أوروبا إلى قاعدة حلف الأطلسي في أضنة في تركيا، ويقول عفيف البزري – مجلة صباح الخير المصرية ٣١ تشرين الأول ١٩٥٧ م -: (نعتقد أن هناك فرقتين من المدرعات ونحو ٦ فرق من المشاة.. إضافة إلى الأسطول السادس الأميركي الذي يرسل طائراته الاستكشافية لزيارتنا من وقت لآخر).

و كان للاتحاد السوفييتي موقف حازم من أحلام الولايات المتحدة الأميركية وتركيا، فهدد تركيا بالاجتياح ووضع لهذه المهمة مليون جندي سوفييتي مسلم إذا ما تعرّضت سورية لعدوان عسكري من تركيا كأحد أعضاء الحلف الأطلسي، وقام حينها رئيس الوزراء السوفييتي بإرسال حينها اعتبرت وكالة المخابرات الأميركية(CIA) أن مزاعم السراج كذب وافتراء، وأيدها بذلك المراقبون والمحللون للأحداث السياسية في دول الغرب، ولكن: (مزاعم السراج كانت دقيقة والحقيقة أن مؤامرة وكالة المخابرات المركزية للإطاحة بالقوتلي التي أجهضت في آب ١٩٥٧ م كانت ذروة نحو عقد من السنين من التدخل الأميركي السري في شؤون سورية – دوغلاس ليتل) وأيضاً كتب الكاتب أحمد بهاء الدين بشكل مسهب عن هذه المؤامرة في مجلة صباح الخير المصرية في ٣ تشرين الأول ١٩٥٧ م تحت عنوان: (سر عبد الحميد السراج).

خطاب إلى رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس مما جاء فيه: (عندما تؤكد الأنباء أن الحشود تتجمع عند الحدود السورية، فإن السؤال المنطقي الذي يتبادر إلى الذهن في هذه الحالة هو: ما هو شعور الأتراك في حالة حشود أجنبية على حدودهم؟ إن تركيا ستجر عليها ويلات كثيرة إذا سارت على رأي الدول الأجنبية التي لا يهمها السلام في الشرق الأوسط على الإطلاق). كما قام الاتحاد السوفييتي بتزويد الجيشين المصري والسوري بكميات كبيرة من المقاتلات النفاثة المتقدمة (وهي السلاح الإستراتيجي الأهم في تلك الفترة) ما زاد القوة النسبية لكلا البلدين في السياق الإقليمي، وأسرع الرئيس المصري آنذاك جمال عبد الناصر، بالاتفاق مع سورية ودعم من الاتحاد السوفييتي، بإنزال قوات مصرية في ميناء اللاذقية في يوم ١٣ تشرين الأول تأكيداً على «الوحدة العربية»، وذكر أحمد بهاء الدين الكاتب المصري في مجلة صباح الخير المصرية في عدد ١٧ تشرين الأول ١٩٥٧ م تفاصيل ذلك تحت عنوان: (الذين يشفقون من ذهاب الجيش المصري إلى سورية).

و لم يكتف بذلك الاتحاد السوفييتي حيث وجهت الحكومة السوفييتية يوم ٣٣ أيلول ١٩٥٧ م تحذيراً إلى الولايات المتحدة وغيرها من الدول الموالية لها مفاده، أن أي اعتداء على سورية، ستكون الحكومة السوفييتية على أهبة الاستعداد لدعم الجانب السوري... هنا اعتبرت أميركا والغرب المتحالف معها، أن الغزو التركي لسورية بات بالغ الخطورة وتراجعوا عن مخططاتهم... إلى أن جاء ما اخترعوه (الربيع العربي) وعاودوا الكرة مرة أخرى، فدفعت الولايات المتحدة الأميركية كلاً من تركيا والسعودية وقطر والدول الخليجية بشكل عام، للعمل على تدمير بلادنا...

وبعد

إن العودة لصفحات التاريخ، وما كتبه الغرب عنا، والوثائق التي أميط اللثام عنها خلال السنوات الماضية، كل ذلك يوضح بشكل جلي أن أولى تجارب وكالة المخابرات المركزية الأميركية في التدخل في شؤون سورية كانت عام ١٩٤٩ م، عندما تدبروا انقلاب حسني الزعيم، وبعد ذلك فتحت المخابرات الأميركية الباب على مصراعيه للتدخل في الشرق الأوسط بشكل عام وسورية بشكل خاص، وعندما فشلوا طوال السنين الماضية في ضم سورية تحت عباءتهم، وأن تسير بلادنا في ركابهم، وضعوا كل حقدهم الأسود وبثوا سمومهم خلال السنوات الخمس الماضية، لتدمير بلاد الشمس والحضارة والإنسانية والعراقة...

المراجع: أعداد مختلفة من مجلة صباح الخير المصرية عام ١٩٥٧ م – أعداد مختلفة من مجلة الجندي لعام ١٩٥٧ م أعداد مختلفة من صحيفة السفير لعام ٢٠١٦ م - أرشيفي الخاص.

٢٢٠ فناناً يتحدثون عن نجاح وإخفاق الفن

عادل أبو زهري لـ«الوطن»: برنامج «Barcode 5 4 3 2» وثائقي يطرح إشكاليات لم يتجرأ أحد بالحديث عنها

سوسن صيداوي

برنامج «Barcode 5 4 3 2» أو «باركود ٥ ٤ ٣ ٢» هو الاسم لعمل وثائقي من ثلاثين ساعة، يعتبر الأول من نوعه في سورية سواء من حيث الإنتاج أو العمليات الفنية وأهم شيء هو الطرح وليس بسبب استضافته لأكثر من ٢٢٠ فناناً سورياً ولبنانياً، بل بسبب طرحه لإشكالات تعترض الدراما والسينما والمسرح وكل ما يتعلق بها من موسيقى وتقنيات فنية وغيره الكثير، ولكن، بأسلوب صريح وجريء بعيد تماما عن المجاملة المبنية على المصلحة أو الخوف من التصريح والإدلاء، وهكذا دارت كاميرا البرنامج بين سورية ولبنان ملتقية بكل من هو معني بقضايا الفن ومن اختار نفسه ونصبها كي يكون معنيا ومهتما إلى الحد الأقصى، برنامج «Barcode 5 4 3 2» من إخراج: بيير بازية، منتج فني: عادل أبو زهري، إنتاج: ميديا للصوتيات والبصريات.

• ما الفكرة من هذا العمل؟

العمل هو برنامج حواري وتوثيقي، مؤلف من ٣٠ حلقة، وفكرته هي فكرتي، وأنا المنتج الفني له، وانطلقت بها من أن المشاريع أو البرامج الوثائقية في سورية غير نشطة مثل بعض البلدان العربية مثل مصر أو لبنان، كانت الفكرة في ذهني من أكثر من سبع سنوات تقريبا، وكانت كبرنامج وثائقي عربي، ولكن عدت وحصرت الفكرة في سورية ولبنان، بسبب الميزانية، وما أريد التركيز عليه هو أن أغلب البرامج الوثائقية تحكي مثلا عن تاريخ حضارات أو يكون موضوعها علمياً أو حربياً أو ربما توثيق لأمور حياتية أو أمور معاصرة وحتى الفنانين مثلا توثق أفلام عن حياتهم وسيرتهم، ولكن للأسف بعد وفاتهم، إذا فكرة «Barcode ٥ ٤ ٣ ٢» جاءت لطرح ما يعانيه الوسط الفني من إشكاليات خلال الأزمة وهي جوهرية ولم يتجرأ أحد من قبل بالحديث عنها وهي نفسها التي أدت لانحدار الفن سواء من دراما ومسرح أو حتى سينما في سورية ولبنان.

• من يقوم بإنتاج هذا العمل؟

هذا البرنامج الوثائقي من إنتاج ميديا للمرئيات والصوتيات.

• هل يمكن التحديد بشكل أدق حول المواضيع الإشكالية التي يطرحها هذا البرنامج؟

بالطبع.. لدينا قضايا عامة عريضة ولكل حلقة موضوع، وفيها نحو ١٥ فناناً تقريباً، وربما تكون الحلقة من جزأين للموضوع نفسه، أما المواضيع منها: الإشكاليات التي تعاني منها الدراما والمسرح والسينما، والمشاكل المتعلقة سواء بنقابة الفنانين، بالكوميديا، بالبيئة الشامية، بالأعمال التاريخية، بالإعلام الفني وبالمعهد العالي للفنون المسرحية، بالمشاكل التي تواجه النساء في الوسط الفني، كما تطرقنا لعرض ما يواجه الفنيين والتقنيين من مشاكل وغيره الكثير ما سيفاجئ الجمهور.

• كان من المفروض أن يكون البرنامج جاهزا للعرض في رمضان ٢٠١٦.. لماذا التأخير؟

لم يسعفنا الوقت لإكمال المشروع ولكن الأمر الذي كان مريحا هو طبيعة البرنامج نفسه فهو ليس مسلسلا رمضانيا، كما أن ما جعلنا نتأخر في الإنجاز تأخرنا في تصوير الجزء اللبناني، ومن ثم تم تأجيل عرضه للعام القادم.

• ماذا عن عمليات التسويق... وهل تتوقعون أن يلقى ترحيبا في الفضائيات؟

حتى الآن لم نقم بعمليات تسويق، ونحن نتوقع أن يحصل «Barcode 5 4 3 2» على أهم عروض سواء في الفضائيات السورية أم حتى العربية.

• ما الذي يدفع الفضائيات لعرض برنامج كهذا؟

تقوم الفضائيات بعرض الكثير من الحلقات والبرامج الوثائقية عن شخصيات أو مهن، فما الذي يجبرها على عرض شيء كهذا؟، ومن يهتم من الجمهور بشيء كهذا؟، على الرغم من أن النسبة في جمهور المتابعين تكون دائما متفاوتة، والتي تختلف وتتباين بحسب المواضيع، إلا أن الفضائيات تقوم بشراء برامج كهذه وتقوم بعرضها، ونحن في هذا البرنامج ما يمدنا بالثقة عدة أمور منها كما أسلفت بأن البرنامج جديد من نوعه من حيث الطرح بالقضايا والمشاكل ومن حيث الجرأة، والأمر الثاني هو أنه يضم نحو ٢٢٠ فنانا من سورية ولبنان ومن الجيل المؤسس الرائد وحتى من الجيل الشاب الغض، وكلهم دخلوا كل البيوت ومتابعون من الجمهور في المسلسلات والأفلام والمسرح وحتى في الموسيقى، إضافة إلى أن منهم من له حظوة في قلوبهم ولن يُقدم في البرنامج ليستعرض سيرته الفنية بل ظهوره جديد وبأشياء لا يعرفها الجمهور.

• ذكرتم بأن العمل مميز وجريء بصراحة الفنانين بالحديث؟

هذا صحيح.. الأغلبية الساحقة من ضيوف البرنامج كانوا منفتحين، ولم يجاملوا ونقدهم لم يكن قاسيا هدّاما، بل كان بنّاء وحريصا من أجل أن نصل إلى حالة رأي عام يؤثر بأصحاب القرار بهذه المهنة.

• هل سيحل هذا البرنامج المشاكل؟

طريقتنا بالتفكير مختلفة فهذا النوع من البرامج يطرح المشاكل، فوظيفته تسليط الضوء، ولكن على الجهة المعنية أن تقوم بالحل، نحن لا نفرض وجهة نظرنا بل تركنا الضيوف هم من يقدم المشكلة وممكن أن يقدم معها الحل.

• أنت منتج فني.. لماذا قمت بمحاورة الضيوف؟

في طبيعة الحال أنا صحفي وصحيح عملت الحوار مع الفنانين، لأننا وللأسف حاولنا أن نُحضر عدداً من الإعلاميين المختصين وعملنا لهم تجربة أداء، لكنهم فشلوا، وببساطة إلى درجة أن إحدى المذيعات سألت الضيف عن اسمه ولم تكلف نفسها بأن تقوم بواجبها بالبحث عنه، هذه مشكلة كبيرة ليست بطاقات الشباب بل بثقافتهم وعليهم بذل الجهد بالبحث والمثابرة، وبالنسبة لعملي كمنتج فني ساعدني في معرفة كل من يعمل بالوسط الفني وأن أكون ملما بأعمالهم وحياتهم، فالأمر كان سهلا بالنسبة لي.

• حتى عرض البرنامج سيكون مختلفاً عن الطريقة الوثائقية التقليدية؟

صحيح.. سيتم إغناء بعض المحاور بطريقة أرشيفية والباقي تم تصويره بطريقة سينمائية وهذه طريقة لمحاولة كسر القوالب المتبعة لهذا النوع من البرامج، فالقالب ليس بطريقة تقليدية والمخرجون الذين استضفناهم أثنوا على الطريقة التي يتم العمل بها على صعيد الكادر والفضل بهذا الشيء لسمير عرابي مدير الإضاءة والتصوير.

• ما الهدف من برنامج كهذا؟

نحن نسعى ونهدف من خلال البرنامج وضيوفه إلى تسليط الضوء على هذه المهنة رغم كل ما يدور حولها من إدعاءات بأنها ناجحة، والأهم بنظرنا أن تصبح هذه المهنة صناعة برأس مال سوري ومحطات فضائية سورية تستوعبها واتحادات، بعيدا عن منتجين يقومون بالإساءة لها، كي تساهم في النهاية صناعة الفن في الدخل القومي لسورية.